

المقدمة Introduction

ملخص الفصل

- المقدمة
- ملخص الفصل
- مقالة قصيرة عبر حالة
- ما التطور الإنساني؟
- ما المقصود بالنظرية؟
- - مكونات النظرية.
- - متطلبات النظرية الجيدة.
- ما الذي نتوقعه من نظرية التطور الإنساني؟
- ما التحديات لفهم التطور الإنساني على مدار الحياة؟
- لماذا هناك العديد من النظريات؟ أيها أختار؟
- ترتيب وتنظيم هذا الكتاب.
- أسئلة وتدرّيات التفكير الناقد.
- المصطلحات الرئيسية.
- المصادر المقترحة.
- المراجع.



الأسئلة التوجيهية



- ما دور النظرية في دراسة التطور الإنساني؟
- ما بعض السمات المهمة للنظرية؟
- كيف تقرر نوع النظرية المناسبة لتفسير السلوكيات محل اهتمامك؟

مقالة قصيرة عن حالة Case Vignette

تخيل الموقف الآتي:

أنت تحتضن طفلاً يسمى كلارك يبلغ من العمر 2 ½ عاماً، وتستعد للذهاب إلى حديقة عامة يحبها كلارك، ولذا، فأنت تخبر كلارك بأن عليه أن يرتدي حذاءه قبل مغادرة البيت. يجلس على الأرض، يلبس حذاءه، ويربطه، ورأيت أنه يجد صعوبة، لذا تقدم له المساعدة، ولكنه يقول لك: «لا، يمكنني أن أفعلها بنفسني». تنتظر أنت لبعض الوقت، ثم تقول: «دعني أساعدك حتى تتمكن من الذهاب إلى الحديقة»، يجيب كلارك قائلاً: «لا، ويستمر في محاولة ارتداء الحذاء، وتقول له: «ألا تحب أن تذهب إلى الحديقة». يقوم كلارك بخلع الحذاء ويلقي بأحدهما في وجهك، ويسقط على الأرض صارخاً، ويركل بقدميه «لا حذاء، ولا مساعدة، ولا حديقة»!

أنت كطالب في التطور الإنساني، ربما تبدأ في فهم هذا الموقف بالتأمل فيما لاحظته. ما الذي قاله كلارك وفعله؟ ما الذي قلته أنت وفعلته؟ ما السياق الذي حدث فيه هذا التفاعل؟ عندما تشرع في فهم ماهية الموقف، ربما تبدأ بطرح بعض الأسئلة لفهم سبب الموقف وكيفية مجابته. ربما تتساءل عن معنى الموقف بالنسبة لك وبالنسبة لكلارك. ربما ترى أنه نظراً لكونك شخصاً كبيراً وكلارك طفلاً صغيراً، ربما يختلف الموقف بالنسبة لكما. لماذا لم يقبل كلارك مساعدتك؟ هل يفهم كلارك السبب في أن عليه أن يرتدي الحذاء؟ لماذا كان كلارك مَصْرّاً على ربط حذائه؟ ما الدور الذي لعبته في هذا الموقف؟ هل قلت أو فعلت شيئاً جعل كلارك يرفض مساعدتك؟ كيف يمكنك التدخل بحيث يلبس كلارك حذاءه ويذهب معك إلى الحديقة؟

لكي تجيب عن هذه الأسئلة، تحتاج إلى ربط ملاحظتك لسلوك كلارك بالأفكار التي تفسرها. هذه الأفكار هي النظرية التي تحدثت عن سبب حدوث الأشياء كما حدثت لك، ولكلارك.

إن النظرية سوف تقودك إلى قرار بشأن ما سوف تقوم به بعد ذلك، ويمكن تقسيم الاستفسار العلمي **Scientific Inquiry** إلى مكونين مرتبطين: **الملاحظة Observation**، والنظرية **Theory**. تصف الملاحظات العلمية ما يحدث، وتقدم النظريات العلمية التفسيرات بشأن "كيف" و "لماذا" تحدث هذه الأشياء. في دراسة التطور الإنساني، تلعب النظريات دوراً قوياً من خلال تشكيل أفكارنا عن معنى السلوك، موسعة بذلك فهمنا عن مجال وقوة الأداء الإنساني/المعقد، فاتحة الطريق إلى بحوث جديدة، وموجهة للتدخلات **Interventions**. لا توجد نظرية واحدة فقط متفق عليها يصادق عليها كل دارسي التطور الإنساني. ومع ذلك، فإن العديد من هذه النظريات قدمت لنا عدسات جديدة لملاحظة وتفسير السلوك. * لقد أدت نظرية بياجيه عن التطور الإنساني إلى تقدير جديد للطريقة التي يستخلص بها الأطفال المعنى من الخبرات، حيث ساعدت نظريته الوالدين والمعلمين في تقدير أنه أثناء نمو الأطفال، فإنهم يستخدمون إستراتيجيات مختلفة للتعلم والتفكير. لقد كان لهذا الاستبصار تطبيق واسع في تصميم المناهج المناسبة لعمر الأطفال، وتصميم بيئات التعلم.

* لقد قدمت نظرية فرويد عن التطور استبصارات في اللاوعي، ومن ثم ، أمدتنا بطريقة للتفكير في الشد بين الدوافع القوية أو الرغبات القوية والقيود الموضوعية ضد التعبير عن هذه الرغبات. لقد أثر تأكيده على النضج المبكر والمستمر للدوافع الجنسية في ممارسات ومداخل الوالدين للعلاج النفسي، وتعتمد النظرية الاجتماعية النفسية الحيوية على أعماله، حيث تربط الدوافع الجنسية الداخلية بأهمات السلوك المنتج وتضميناتها للارتقاء الإنساني.

* لقد أدت نظرية التعلم الاجتماعي لبندورا إلى استخدام واسع لفكرة النمذجة لتمييز الحالات الاجتماعية التي يتعلم الأطفال وفقاً لها من خلال الملاحظة والتقليد لسلوك الآخرين. لقد استتارت نظريته وعياً كبيراً بالطبيعة الاجتماعية للتعلم عبر سياقات عديدة. لقد أشارت أفكاره عن فعالية الذات إلى أهمية الثقة أثناء سعي المرء إلى تحقيق معايير جديدة متحديّة للأداء، حيث تم تطبيق هذا المفهوم في مجالات عديدة بما في ذلك التدريب، والتعليم داخل قاعات الدراسة، والأداء في ورش العمل.

* لقد أظهرت النظرية الاجتماعية النفسية لإريكسون أهمية مفهوم الهوية **Identity**، وهو مركب إبداعي للإحساس بالذات في المجتمع، والذي يظهر في المراهقة المتأخرة ويوجه التطور ومساره خلال رحلة الحياة. لقد كانت نظريته من النظريات الأولى في تقديم نموذج للنمو يعتمد على مدار الحياة، وطبقت هذه النظرية بشكل واسع في مجال طلبة الجامعة، مع ارتباطات معينة بنمو الطالب، واستكشاف الحياة المهنية، والهوية العرقية، ونمو دور الجنس.

هناك أمثلة قليلة عن كيف قدمت النظريات أطراً عملية لتحديد العمليات والميكانيزمات غير الملحوظة التي تفسر السلوك. وبذلك، أعطتنا مفردات جديدة لفهم ودراسة ديناميات التطور .

هذا الفصل سوف يعنى بالأسئلة الآتية:

- 1- ما التطور الإنساني؟
 - 2- ما المقصود بالنظرية؟
 - 3- ما الذي تتوقعه من نظرية التطور الإنساني؟
 - 4- ما بعض التحديات التي تعوق فهم التطور الإنساني على مدار الحياة؟
 - 5- ما السبب في وجود العديد من النظريات؟
- وينتهي الفصل باستعراض لتنظيم وترتيب الكتاب.

ما هو التطور الإنساني؟ What is human Development?

تركز دراسة التطور الإنساني على وصف أنماط الثبات **Constancy** والتغيير **Change** عبر الحياة **Life Span**، وتحديد العمليات الأساسية التي تفسر هذه الأنماط (Kagan, 1991). إن مصطلح **التطور Development** يوحي بالتغيير الذي يحدث مع الزمن وله اتجاه. هذا الاتجاه سيكون عادة من البسيط إلى المعقد، ومن الأقل تنظيماً وتنسيقاً إلى الأشد تنظيماً وتنسيقاً، ومن الأقل اندماجاً إلى الأشد اندماجاً. لكي نقرر ما إذا كان تغيير معين فمائياً، لابد أن نسأل ما إذا كان هناك نمط للتغيير يمكن ملاحظته من فرد لآخر، وما إذا كان هذا التغيير له اتجاه يشير إلى مستوى جديد من التعقيد أو الاندماج. تدبر على سبيل المثال سلوك المشي. إن المشي شكل جديد من الحركة يمكن ملاحظته من طفل لآخر. إن التغيير من الزحف أو الإسراع إلى الوقوف والمشي ينطوي على مستويات جديدة من التنسيق في التوازن، ودمج جديد لمعلومات حسية وحركية.

إن مصطلح التطور الإنساني يشير إلى التركيز على الكائن الإنساني وليس كل أشكال الحياة. هذا التركيز يضعنا أمام اعتبارات معينة: أولاً- إن لدى الإنسان أفكاراً وخبرات تؤثر على المنظور الإنساني، ويتشابه في وجهة النظر هذه كل من العلماء وأصحاب النظريات. إن دارسي التطور الإنساني أناس يدرسون الإنسان ككائن حي، ولهم أفكارهم وخبراتهم التي تعمل كأساس للتوقعات بشأن اتجاه ومعنى السلوك. غالباً، تقدم الأفكار والخبرات الشخصية التركيز والاتجاه لأعمال الدارسين. على سبيل المثال، لقد تربى إريكسون في ألمانيا الجنوبية مع أمه وزوج أمه اليهودي، ولم يكن يعلم- إلا بعد ما كبر- أن أباه هولندي. إن خبرة أنه طفل مزدوج عرقياً ودينياً أسهمت في وعيه بالهوية، والذات والمجتمع، والتي أصبحت بناءات رئيسة في نظريته. لابد من فهم أن كل نظرية للنمو الإنساني انعكاس وتعليم وتدريب من ابتكرها، وسياقه التاريخي، وخبراته الشخصية وقيمه ومعتقداته التي تتعلق ببني البشر.

ثانياً- يتمتع بنو البشر بقدرة رائعة على التفكير التمثيلي أو الرمزي. لذا، لابد أن يخاطب التطور الإنساني أكثر من مجرد وصف السلوكيات وتفسيرات هذه السلوكيات. فلا بد أن تفسر طبيعة النشاط العقلي مثل اكتساب المعرفة واستخدامها، الخيال، الطموح، والخطط، والانفعالات، وحل المشكلات، وأنماط التغيير واتجاه التغيير في النشاط العقلي. إن نظريات التطور بحاجة إلى تقديم أفكار عن الميكانيزمات التي تربط بين النشاط العقلي والسلوك.

ثالثاً- إن للبشر حياة طويلة تتغير خلالها قدراتهم بشكل كبير. على عكس الكائنات الأخرى، فإن الإنسان يولد في حالة تابعة، ويعتمد بقاؤه اليومي على ما يقدمه له الآخرون من رعاية. تستمر حالة الاعتماد هذه لبعض الوقت. ربما يعيش الإنسان إلى ما يقرب من 100 عام أو أكثر، محققاً العديد من المستويات الجديدة من التفكير المعقد والسلوك المعقد، مشاركاً في مدى واسع من العلاقات الاجتماعية، متكيفاً مع المواقع الاجتماعية والفيزيقية المختلفة. لابد أن يخاطب التطور الإنساني الثبات والتغيير لدى الكائن الحي على مدار الحياة.

ما المقصود بالنظرية؟ What is a Theory?

النظرية نظام منطقي من المفاهيم التي تساعد في تفسير الملاحظات وتسهم في نمو المعرفة. إن لنا جميعاً نظريات حدسية، غير رسمية عن السبب في ما يفعله الناس. إن المثل القائل بأن «جوزة البلوط لا تقع بعيداً عن الشجرة» نظرية غير رسمية تتنبأ بأن الأطفال سوف يكبرون بحيث يصبح سلوكهم مشابهاً لسلوك والديهم. ومع ذلك، فإن النظرية العلمية الرسمية مختلفة عن المعتقدات غير الرسمية. لكي تصل مجموعة من الأفكار إلى مستوى النظرية العلمية الرسمية، فلا بد أن تدعمها الأدلة، بما في ذلك التجريب والملاحظة المنظمة (Zimmerman, 2009). إن النظرية العلمية الرسمية عبارة عن مجموعة من المقولات المترابطة، بما في ذلك الافتراضات، التعريفات، والفروض التي تفسر وتترجم الملاحظات، وتمثل وظيفتها في وصف البناءات أو الميكانيزمات أو العمليات التي لا يمكن ملاحظتها، وتربطها ببعضها بعض لتفسير الأحداث التي يمكن ملاحظتها. على سبيل المثال، في التعلم، فإن المعلومات أو الاستراتيجيات التي تم تعلمها لا يمكن ملاحظتها، وكذلك عملية التعلم. فالمعلومات يمكن ملاحظتها من خلال طرح أسئلة، إعطاء اختبار، أو تقديم موقف لابد فيه من استخدام المعلومات لحل مشكلة ما. ومع ذلك، فإن عملية تعلم المعلومات لا يمكن ملاحظتها مباشرة، ويعتمد فهمنا لهذه العملية على النظريات التي تحاول تفسير كيف يمكن اكتساب المعلومات الجديدة وتذكرها، وإنتاجها عند الضرورة. جدول (1.1) يقدم مكونات النظرية وخصائص النظرية الجيدة.

جدول 1.1 ما المقصود بالنظرية؟

مكونات النظرية	خصائص النظرية الجيدة
الافتراضات	منطقية
المجالات	تحظى بالثبات الداخلي
مدى التطبيق	شحيحة
البناءات	يمكن اختبارها
الفروض	تدمج البحوث السابقة
	تتعامل مع مجال واسع من العلوم

في مجال التطور الإنساني، تختلف النظريات عن البحوث وتختلف عن الحقائق، يمكن للنظرية أن توجه العملية البحثية، ومع ذلك، فإن العملية البحثية مدخل منفصل لبناء القاعدة المعرفية. على سبيل المثال قدمت نظرية التطور المعرفي لبياجي فكرة أنه من خلال التفاعل المباشر مع العالم الفيزيقي، فإن الأطفال يبنون تدريجياً المخطط المعرفي للشيء الدائم، وفهم أن الأشياء لا تتوقف عن الوجود عندما تبتعد عن العين. هناك بحوث عديدة تدعم هذه النظرية، وقد أدت إلى وجهة نظر أكثر تعقيداً عما يعرفه الأطفال الصغار عن الأشياء بناء على طبيعة المهمة، نوع الاستجابة الصادرة عن الطفل، والمكان الذي يتم فيه إجراء الدراسة على الطفل.

تتميز الحقائق عن النظريات التي تحاول تفسيرها. على سبيل المثال، لقد ازداد توقع الحياة عند الميلاد في الولايات المتحدة بشكل كبير من 1900 إلى الوقت الحاضر. هذه الحقيقة لا خلاف عليها. هناك العديد من النظريات عن العوامل التي تفسر التغيرات في الجاذبية. ربما تؤثر نظرية في اتجاه البحوث عن الجاذبية، ومع ذلك، فإن هذه النظريات لا تغير الحقائق.

مكونات النظرية Components of a Theory

إن النظريات مثل القصص القصيرة، والتي تشتمل على موقف، شخصيات رئيسة، وحبكة روائية. تحدد النظرية مجالاً، مثل: المعرفة، اللغة، التعلم، الدافعية، أو نمو الهوية والتي ستكون محور التفسير. فهذا هو الموقف أو المشكلة التي تحاول النظرية مخاطبتها. لفهم النظرية، لابد أن يكون المرء واضحاً بشأن الظاهرة التي تحاول النظرية تفسيرها. ربما تشمل نظرية التطور العقلي على فروض تتعلق بارتقاء الدماغ، نمو التفكير المنطقي، أو القدرة على استخدام الرمزية. من غير المحتمل أن تفسر هذه النظرية المخاوف، الدوافع، أو الصداقة. إن فهم تركيز النظرية يساعد في تحديد مدى تطبيقها. على الرغم من

أن المبادئ من نظرية ما قد تكون وثيقة الصلة بمجال آخر من المعرفة، إلا أنه يتم تقييم النظرية بلغة المجال المراد لها تفسيره.

عند القراءة عن كل نظرية، سوف تجابه افتراضات معينة عن العملية العلمية، السلوك الإنساني، أو التطور. هذه الافتراضات قد لا يمكن اختبارها، فهي تقدم منصة تبنى عليها النظرية. إن الافتراضات هي المقدمات المنطقية الموجهة التي تمثل الأساس لمنطق النظرية. لتقييم النظرية لابد في البداية من فهم ماهية افتراضاتها، فقد افترض دارون أن الأشكال الدنيا من الحياة «تتقدم» إلى الأشكال العليا في عملية الارتقاء. ربما تكون افتراضات أي نظرية صحيحة أو غير صحيحة. ربما تتأثر الافتراضات بالسياق الثقافي السائد خلال الفترة التي وُجد فيها صاحب النظرية، وبعينه الملاحظات التي استخلص منها صاحب النظرية استنتاجاته، والقاعدة المعرفية الحالية للمجال، والقدرات العقلية لصاحب النظرية.

تتألف كل نظرية من البناءات الرئيسية التي تشير إلى علاقات أو عمليات معينة يمكن ملاحظتها. يمكن أن ترى هذه البناءات على أنها شخصيات رئيسة في القصة. فنحن نستخدم بناءات مثل الدافعية، الذكاء، والأهداف لتفسير السلوك الإنساني، كما نستخدم بناءات مثل الكهرباء، الجاذبية، والقوة الدافعة لتفسير العالم الفيزيقي. ففي كل حالة، لا يمكن ملاحظة البناء مباشرة، على الرغم من أنه في حالة العالم الفيزيقي يصل العلماء في الغالب إلى اتفاق بشأن طرائق قياس البناءات. يعمل دارسو التطور لقياس البناءات التفسيرية مثلما يفعل علماء الفيزيقياء، ولكن نسبة الاتفاق أقل بشأن مداخل القياس.

وأخيراً، فإن النظريات تقدم الروابط (لو .. إذاً) أو الفروض التي يمكن اختبارها. وهذه هي الحبكة. ما الذي تتنبأ به النظرية؟ على سبيل المثال، قدمت نظرية الاشراف الإجرائي لسكنر Skinner الفرض الآتي الذي يمكن اختباره: "عندما تكون هناك استجابة يتبعها معزز أو مكافأة فإن احتمالية حدوث الاستجابة مرة أخرى تزداد". من هذا الفرض الوحيد يمكن للمرء أن يفسر العديد من الملاحظات عن السلوك الإنساني ويتنبأ بسلوكات أخرى.

متطلبات النظرية الجيدة Requirements of a Good Theory

ينبغي أن تفي النظرية الرسمية بمتطلبات معينة، حيث ينبغي أن تكون منطقية وثابتة داخلياً، ولا يوجد فيها أي عبارات متناقضة. يمكن استكشاف الفروض من خلال البحث المنظم. أثناء قراءة تك لكل نظرية، ابحث عن الطرائق التي يمكن بها ملاحظة وقياس المفاهيم المجردة. على سبيل المثال، ربما تشير نظرية للتعليم إلى أن حدوث السلوك محتمل عندما يتبعه تعزيز، ويمكنك اختبار هذه النظرية بمراقبة سلوك معين، وإحداث تعزيز معين، وملاحظة ما إذا كان الشخص يقوم بهذا السلوك كثيراً عند تقديم التعزيز أم لا.

ينبغي أن تكون النظرية شحيحة، بمعنى أن تكون بسيطة، وتقوم على قليل من الافتراضات، والبناءات بقدر الإمكان، مع قدرتها المستمرة على تفسير الملاحظات. هذا الشح نسبي. على سبيل المثال افترض فرويد وجود خمس مراحل للنمو، وافترض إريكسون وجود ثماني مراحل للنمو، ومع استخدام مبدأ الشح، يمكن أن يخلص المرء إلى أن نظرية فرويد هي الأفضل. ومع ذلك، فإن نظرية إريكسون تقدم وجهة نظر مختلفة تماماً عن الشباب والشيخوخة، ولذلك فإنها تقدم استبصاراً في عملية التطور على مدار الحياة. وعلى الجانب الآخر، فإن النظرية التي ترى أن هناك 30-40 مرحلة للحياة يمكن اعتبارها أكثر تعقيداً وأقل شحاً من النظرية التي تقدم عدداً أصغر من الفترات المدمجة. وأخيراً، ينبغي أن تدمج النظرية البحوث السابقة، وينبغي أن تتعامل مع مجال واسع نسبياً من العلوم (Miller, 2011).

إن النظريات تضيف مستويات جديدة من الفهم باقتراح العلاقات السببية، بتوحيد الملاحظات المختلفة، وبتحديد أهمية الأحداث التي مرت دون أن تلاحظ. عندما توافق على استخدام بناءات النظرية كطريقة الحديث عن المجال، فإن النظرية تأخذك خلال مجموعة من الخطوات المنطقية للتنبؤ بطبيعة واتجاه الثبات والتغيير.

عند الدخول إلى عالم نظرية معينة، فمن السهل أن تستغرق في مفرداتها ومنطقها والتفكير في النظرية على أنها تقدم الحقيقة عن المجال. ومع ذلك، فإن السمة المهمة لأي نظرية علمية هي أن ينظر إليها على أنها تجريبية، وقابلة للمراجعة بناء على الملاحظات الجديدة. تختلف النظريات العلمية عن المعتقدات، حيث يتم إعدادها مع الفهم بأن أدوات القياس الجديدة، الملاحظات الجديدة، والاستبصارات الجديدة ربما تؤدي إلى تفسيرات جديدة أفضل. لذا، في دراستك للنظريات العلمية لابد أن تدرك بأنك تتعامل مع أعمال مستمرة، وتعامل معها دائماً على أنها تقدم أوصافاً وتفسيرات مفيدة حتى يتاح تحليل أكثر دقة (Bordens & Abbott, 2013).

ما الذي نتوقعه من نظرية التطور الإنساني؟

What Do We Expect from a Theory Human Development?

تقدم نظريات التطور الإنساني تفسيرات تتعلق بأصول ووظائف السلوك الإنساني والنشاط العقلي، والتفسيرات المتوقعة في ظروف معينة أو من فترة لأخرى. ينبغي أن تساعد نظرية التطور على تفسير كيف يتغير الناس وينمون مع الوقت، وفي الوقت نفسه كيف يظلون على ما هم عليه (Thomas, 1999)، نحن نتوقع أن تقدم نظرية التطور الإنساني تفسيرات لستة أسئلة:

- 1- ما اتجاه التفسير على مدار الحياة؟ نحن نفترض أن هناك اتجاهًا للنمو، وأن النمو ليس عشوائياً. إن التطور ليس كتغيير المرء أسلوب شعره، أو اتخاذ قرار بأن يلعب التنس في يوم ما، وكرة

القدم في يوم آخر. إن نظريات التطور تقدم بعض الأفكار الكبيرة عن النضج، وتسלט الضوء على الطرائق المهمة التي يصبح بها التفكير، الفهم الذاتي، والقدرة على العلاقات الاجتماعية والقدرة على التكيف - أكثر تعقيداً واندماجاً كلما استمرت الحياة. تقدم نظريات التطور إطار العمل للتفكير في التطور الأمثل **Optimal Development**، بمعنى خصائص الكفاية المعرفية، والانفعالية، والفيزيائية والاجتماعية ذات الصلة بالعمر، والتي يمكن توقعها عندما تكون دافعية المرء عالية، ويكون صحيح البدن، ومندمجاً بشكل جيد في جماعته الاجتماعية.

2- ما الميكانيزمات التي تفسر التطور من الحمل إلى مرحلة الكبر؟ هل تتباين هذه الميكانيزمات عبر الحياة؟ تقترح نظريات التطور أنواع العمليات أو الخبرات التي تجلب التغيير المنظومي. على سبيل المثال، تشير نظرية بياجيه إلى أن التغيير يحدث عندما يواجه الشخص تناقضاً بين ما يمر به من خبرة الحياة والتمثيلات العقلية لهذه الخبرة، حيث يفترض وجود ميل طبيعي لدى الناس لحل هذا التناقض وتحقيق التوازن.

3- ما مدى ارتباط الخبرات المبكرة للنمو اللاحق؟ تقدم النظريات المعروضة في هذا الكتاب أفكاراً مختلفة عن أهمية الخبرات المبكرة لتنظيم النفسي والسلوكي للفترات اللاحقة من الحياة. تشير بعض النظريات إلى أن الأحداث من الطفولة المبكرة والطفولة المتأخرة تلعب دوراً قوياً في توجيه اتجاه التطور بشكل جيد إلى مرحلة الشباب، في حين تؤكد نظريات أخرى على تأثير الأحداث المعاصرة في توجيه التطور من خلال رؤية الشخص على أنه يتكيف دوماً مع المتطلبات والفرص الجديدة.

هناك مفهومان متناقضان لهذه القضية: **شبكة القنوات Canalization** والمرونة **Plasticity**. وتعني شبكة القنوات أن الاستجابة **Responsiveness**، سواء عند المستوى المحايد أو السلوكي، تتشكل وتضيق نتيجة للخبرات المتكررة (Gottlieb, 1991) على سبيل المثال، في الطفولة المبكرة، يستطيع صغار الأطفال تلقي الأصوات في البداية من مدى واسع من اللغات. ومع ذلك، بين الشهر السادس والعاشر، لم يعد الأطفال قادرين على تمييز أصوات اللغات غير الأصلية، في حين أن حساسيتهم لأصوات وتركيبات اللغة الأصلية تصبح ماهرة.

على عكس مفهوم شبكة القنوات، يأتي مفهوم المرونة **Plasticity**، وهو القدرة على إعادة التنظيم التكيفي عند المستويات السلوكية والنفسية والنيروولوجية. إن قدرة الإنسان الرائعة على التعلم تعكس هذا المفهوم. يمكن ملاحظة المرونة عند المستوى النيروولوجي. على سبيل المثال، بعد الصدمة الدماغية، فإن جهود إعادة التأهيل تسمح للشخص بالتعلم مرة أخرى للعديد من الوظائف التي فقدتها نتيجة لتلف دماغي. فمن خلال التكرار والممارسة، تنمو شبكات عصبية، وممرات عصبية جديدة.

4- كيف تؤثر البيئة والسياق الاجتماعي على نمو الفرد؟ ينمو الأفراد في سياقات **Context**، خصوصاً الفيزيائية، والثقافية، والأسرية، والمدرسية، والمجتمعية. تقدم نظريات التطور الإنساني طرائق لوضع مفاهيم للسياقات، وتوضيح أهمية سمات السياق في تشكيل اتجاه التطور .

إن أحد السياقات البارزة التي تؤثر على التطور هو الثقافة التي ينمو فيها الفرد. وتشير الثقافة **Culture** إلى الطرائق الاجتماعية والقياسية للتفكير، والشعور، والسلوك والتي يشترك فيها الأفراد الآخرون في المجتمع، تشمل الثقافة على مفاهيم، وعادات، ومهارات، وفنون، وتقنيات، وديانات، وحكومات الأفراد. تمارس الثقافات التأثير مباشرة من خلال الأسر وأيضاً من خلال شبكات تفاعل الأفراد الذين ينتمون إلى منظمات ثقافية شائعة، مثل: النوادي، والمدارس، والمنظمات السياسية. بالإضافة إلى ذلك، فإن الثقافات تمارس التأثير من خلال الوسائط المتعددة، مثل: التلفاز، الصحف، المجلات، الموسيقى، الكتب، والمسلسلات. تقدم الثقافات نظرة عالمية **World View**، وهو أسلوب لخلق معنى للعلاقات، للمواقف ولاشياء يتداولها الناس في حياتهم اليومية، تنتقل الثقافة من خلال التنشئة الاجتماعية، حيث ينقل الكبار القيم والأهداف لانفسهم ومن ثم لاطفالهم، ويبنون أنشطة لحياتهم اليومية. سوق نحلل النواحي البارزة لكل نظرية كما تخاطب الدور التي تقوم به السياقات البيئية والثقافية في تشكيل التطور.

5- ما العوامل التي قد تجعل الشخص عرضة للخطر في فترات معينة من حياته؟ على الرغم من قدرات البشر العديدة على التكيف، إلا أن هناك بعض الظروف التي تعوق التطور المثالي، ونحن نتطلع إلى نظريات التطور الإنساني لمساعدتنا في فهم **عوامل الخطر Risk Factors** التي تفسد التطور . إن كل نظرية من النظريات العشرة تقدم بناءات تخاطب المخاطر وبعض التنبؤات عن الحالات التي تزيد من الخطر.

إن فكرة عوامل الخطر غالباً ما يصحبها مفهوم تكميلي ألا وهو **عوامل الحماية** (Rutter, 1987) (**Protective Factors**)، ربما تساعد عوامل الحماية في تقليل أو وقف الضرر المرتبط بالتهديدات، أو تسهم في قدرة الفرد على التصدي للأزمة اللاحقة (Ertem & Weitzman, 2011).

هناك مفهوم آخر ذو صلة، ألا وهو (المرونة) . تشير **المرونة Resilience** إلى القدرة على التكيف الناجح للأحداث التي تهدد الأداء الأمثل (Masten, 2014). ربما تشتمل المرونة على القدرة على توقع التهديد، التكيف، وحتى الكفاءة في الظروف التي يعرف أنها تقوّض الأداء (انظر جدول 1. 2). وكما هو واضح، فإن الأطفال ذوي البروفيل الجيني نفسه أكثر حساسية للضغوط البيئية إذا ما تعرضوا لقسوة الوالدين، ولكن قد يكونون أكثر مرونة في مواجهة الضغوط إذا ما تعرضوا لدفء، ورعاية الوالدين (Caspi et al., 2010).

جدول 1.2 التعبير عن نفس الجين في بيئات مختلفة

المرونة	البيئة الوالدية	التألف الجيني
الحساسية العالية للضغوط	الوالدية القاسية	الطفل أ: الجين أ
المرونة في وجه الضغوط	الوالدية الراحية	الطفل ب: الجين أ

6- ما التضمنات العملية لنظرية الوقاية، أو التدخل أو التعليم؟ هذا سؤال كبير. كيف تؤثر النظرية في الممارسة؟ ما الأفكار الكبيرة من النظرية التي تسهم في الطرائق التي ينخرط بها الوالدان، والمعلمون، والمرشدون، ومقدمو الرعاية في عملهم؟ مع الوضع في الاعتبار مفاهيم وفروض النظرية، ما التوجيه الذي تقدمه النظرية للسلوك؟ ما الذي تقترحه النظرية وينبغي القيام به لتعزيز التطور المثالي، والوقاية من الخلل الوظيفي، أو تعزيز التعافي من الخبرات المؤذية؟ ما التوجيه الذي تقدمه النظرية عن توقيت التدخل، طريقة التدخل، أو فترة التدخل، أو شدة التدخل؟ إن التضمنات العملية للنظرية مأخوذة من عملياتها وميكانيزماتها التفسيرية للتغيير (Walton, 2014).

ما التحديات لفهم التطور الإنساني على مدار الحياة؟

What Are The Challenges To Understanding Human Development Across Life Span?

خذ دقيقة وتأمل في نموك خلال السنوات العشرة الأخيرة؟ حاول عمل قائمة بكل الطرائق التي غيرتها. ضع في هذه القائمة ذاتك الفيزيائية، اهتماماتك، خططك وأهدافك، جودة علاقاتك، المواقع التي تسهم فيها، الدور الذي تقوم به، المهام التي تحاول إنجازها وقدرتك على النجاح في هذه المهام، الطريقة التي تستخدم بها وقتك، الأفراد الذين تقضي معهم الوقت، ومستوى استبصارك الذاتي.

تواجه نظريات التطور الإنساني العديد من التحديات الكبيرة في محاولة تقديم أطر عمل تقوم على أساس علمي، ويمكن اختبارها تجريبياً لتفسير طبيعة الثبات والتغيير على مدار الحياة. تحدد فيما يلي التحديات:

1- إن التغيير لدى الشخص يحدث في سياق البيئة المتغيرة. فالشخص ينمو مع الوقت، وأثناء نموه، تتغير البيئة، وفرص التعلم، وربما تتغير الوظيفة. إن التحدي لكل نظرية يتمثل في وضع مفاهيم لحقيقة الشخص المتغير في البيئة المتغيرة (Cairns, Magnusson, 1996; al et Diehl, 2014).

2- إن التغيير كمي وكيفي. فالبشر ينمون بالبوصة والرطل، وهذه تغيرات كمية Quantitative Changes، ولكنهم ينمون خلال الانتقالات من الرقود، إلى الحبو، إلى الزحف إلى المشي، وهذه